ديزيره سقال

باب النور



٢٠١٨

ديزيره سقال

باب النور



٢٠١٨

- ١ -

خارِجٌ مِنْ شُجوني
إِلى زَمَني.
يَفْتَحُ الوَقْتُ نافِذَةَ العُمْرِ حَوْلي
وَيَسْكُنُني لحْظَةً
لِأَراني وَحْدي
وَقَدْ لَوَّنَ القَلْبَ حُزْنٌ ثَقيلْ
أُحارِبُ فِيَّ ٱنْطِفائي،
وَأَنْسُجُ
مِنْ نَبْضِ تِلْكَ الَّتي
لَوَّنَ الموْتُ بَسْمَتَها

مُسْتَحيلَ رَجائي،
وَأَقْبَعُ فِيَّ كَسيرًا... ذَليلْ...
فَلاشَيْءَ حَوْلي
يُضيءُ كِياني،
وَلا شَيْءَ يُرْجِعُ لي صَحْوَتي
أَوْ يَرُدُّ ٱنْقِباضَ الزَّمانِ
كَوَحْشٍ يُقَطِّعُ لَحْمي،
وَيَشْرَبُ روحي،
وَيَرْقُدُ في دَمَعاتي
ٱلصَّباحُ القَتيلْ...
خارِجٌ مِنْ شُجوني
إِلى زَمَني.

تَشْرُدُ الذّاتُ في العُمْرِ،
في وَحْدَةِ اليَأْسِ،
مُقْفَلَةَ العَيْنِ، عَمْياءَ
مِثْلَ مساءٍ بِلا أَنْجُمٍ
صَبَّ قُبَّتَهُ فَوْقَ روحي
لِيَخْنُقَها،
وَتَضاحَكَ فِيَّ العَبَثْ
وَهْوَ يَضْرِبُ حافِرَهُ
في امْتِدادِ الجُثَثْ...
وَتراءى المكانُ كَقَبْرٍ مَديدِ
تَحَصَّنَ بالمَوْتِ.
لَيْسَ سِوى الصَّمْتِ

فِي عُمْرِيَ المتَكَسِّرِ.
لَيْسَ سِوى البَرْدِ
فِي عَتَماتِ الدُّجى.
كُلُّ شَيْءٍ مَواتْ...
وَأَمانِيَّ صَحْراءُ مُثْقَلَةٌ بِالجَليدِ
تَهاوَتْ
عَلى مَدِّ هَذا الفَراغِ الثَّقيلِ...
تَهاوَيْتُ
فِي رُعْبِ لَيْلٍ تَصَفَّحَ،
إِذْ ضَمَّني، بِالحَديدِ...
تُرى ٱنْتَصَرَ الموْتُ بَعْدَ عَناءٍ،
لِيَأْكُلَ كُلَّ زَماني؟

كُلُّ شَيْءٍ تَوَشَّحَ بِالصَّمْتِ،
وَالحُزْنُ حَلَّ
لِيَكْسِرَ فِيَّ كِياني...

***

ثُمَّ جِئْتِ مِنَ الصَّلَواتِ...
فَضاءَتْ بِقَلْبي دُروبٌ،
وَما أَدْرَكَتْ ذاتِيَ الضّائِعَهْ
أَنَّ روحَ السَّماءِ
رَمتْكِ إِلى روحِيَ الجائعَهْ.
وَما كُنْتِ خارِجَ ذاتي،
وَلَكِنَّني،
حينَ كَسَّرَني الحُزْنُ،
ما عُدْتُ أُبْصِرُ
في ظُلْمَةِ القَلْبِ شَيْئًا
سِوى الفاجِعَهْ.

وَما كُنْتُ أُدْرِكُ
أَنَّ الصَّلاةَ الَّتي ٱنْدَفَقَتْ
أَخْرَجَتْكِ إِلَيَّ،
وَرَدَّتْ بَريقَ الرَّجاءِ
إِلى روحِيَ الهاجِعَهْ.
كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ...
لَكِنَّني
كُنْتُ ما زِلْتُ مُسْتَغْرِقًا
في ضَياعِ الأَماني...
وَكُنْتَ أَرى كُلَّ ثانِيَةٍ
مِنْ زَماني
يُكَسِّرُها الأَلَمُ المتَفَتِّحُ

فِي زَهَراتِ الغِيابْ...
هَكَذا
ٱنْفَتَحَ العُمْرُ
مِثْلَ كِتابِ الحَياةِ
لِأَمْشي إِلَيْكِ،
وَأَقْرَأَ ما في الكِتابْ
فَأَرْقى مِنَ الظُّلُماتِ
إِلى النُّورِ...
أَمْشي إِلى داخِلي
فَتَمُدّينَ كَفَّكِ نحْوي
وَأُمْسِكُها...
لِنَطيرَ مَعًا

نَحْوَ ما يَجْعَلُ الكَوْنَ كَوْنًا...
وَكُنْتِ يُخَبِّئُكِ الحُزْنُ
كَاللُّبِّ داخِلَ قِشْرَتِهِ،
وَسَمِعْتِ السُّكوتَ
يَرِفُّ جَناحاهُ فيكِ،
فَأَقْفَلْتِ عَيْنَيْكِ عَنْ عالَمِ النّاسِ،
أَقْفَلْتِ قَلْبَكِ عَنْ كُلِّ صَوْتٍ،
وَعنْ كُلِّ نَبْضٍ يُمَدُّ إِلَيْكِ...
وَأَلْقَيْتِ ظِلَّ الغِيابِ عَلَيْكِ...
وَلَكِنَّ حُزْني
أَعادَ إِلَيْكِ الحُضورَ،
فَشَرَّعْتِ بابَ الفُؤادْ

لِتُشْرِقَ شَمْسُكِ فَوْقَ رَمادي،
فَأُبْعَثَ مِنْ ظُلُماتِ الرّمادْ...
وَتَنْبَعِثينَ بِدَوْرِكِ
في النّورِ
كَيْ نَتَجَلّى مَعًا،
بَعْدَ أَنْ كَسَرَ النّورُ أَحْزانَنا،
وَٱمْتَشَقْنا الرَّجاءَ الَّذي غابِ عَنّا.
هُوَذا اليَوْمَ يَبْدَأُ مِنّا
كِتابُ الزَّمانِ الجَديدْ
لِنَمْسَحَ بِالنّورِ
ما خَلَّفَ الموْتُ فينا،
وَنَبْدَأَ عَهْدَ الشُّروقِ المديدْ...

- ٢ -

كانَ بَيْني وَبَيْنَكِ
ظِلٌّ مَلاكٍ
يَشُدُّ إِلَيْهِ يَدَيْنا،
وَيُغْرِقُنا في ابْتِساماتِهِ،
يَمْسَحُ الحُزْنَ عَنْكِ،
وَيَكْسِرُ وَحْدَتَكِ النّامِيَهْ...
وَيُضيءُ بَعَيْنَيَّ
كُلَّ السَّماواتِ...
يَرْفَعُ عَنّي ظَلاماتِ أَيّامِيَ العاتِيَهْ،
فَتَصيرُ الحَياةُ

عَناقيدَ حُبٍّ وَزَهْوٍ...
وَكانَ يُغَرِّدُ في النّورِ...
لَكِنَّهُ، فَجْأَةً، غابَ،
فَٱنْطَفَأَ النّورُ فِيَّ،
وَضَيَّعْتُ أُغْرودَةَ الزَّهْوِ
في الوَحْدَةِ القاسِيَهْ.
وَٱنْكَفَأْتُ إِلَيَّ...
ٱنْكَفَأْتُ وَحيدًا،
لِيَفْتَحَ فِيَّ الأَسى
بَصْمَةً مِنْ لَهيبْ مُميتٍ؛
وَما عُدْتُ أَعْرِفُ
كَيْفَ أَرى النّورَ،

أَوْ كَيْفَ أَصْنَعُ
مِنْ عُمْرِيَ المتَهَدِّلِ
نافِذَةً لِلرَّجاءْ...
وصَلَّيْتُ... صَلَّيْتُ...
حَتّى ٱنْتَهَتْ صَلواتي،
وَما عُدْتُ أَعْرِفُ
أَيْنَ حُدودُ السّماءْ!
وَلَكِنَّ قَلْبَ الملاكِ الّذي غابَ
زَحْزَحَ عَنّي ظَلامي،
وَمَدَّ إِلَيْكِ يَدَيْهِ،
فَجِئْتِ مِنَ الصَّلَواتِ...
أَرَقَّ مِنَ النّورِ،

لَمْلَمْتِ فِيَّ حُطامي
وَقَبَّلْتِ دَمْعي
لِأَغْلِبَ ظِلَّ ٱنْكِساري الثَّقيلَ،
وَأَكْسِرَ سُورَ القَتامِ.
خَرَجْتِ إِلَيَّ مِنَ الصَّلَواتِ
لِيَرْتَعِدَ الموْتُ، بَعْدُ،
وَصِرْتِ القَصيدَةَ
حِينَ يَشِفُّ كِياني
وَيَصْعَدُ نَحْوَكِ
في قِمَمِ القَلْبِ،
خارِجَ هَذا الزَّمانْ...
تَوارَيْتُ فيكِ...

وَغِبْتُ... وَعُدْتُ...
وَلَكِنْ
تَرَكْتُ بِعَيْنَيْكِ أَنْتِ الكِيانْ.

***

هَكَذا ٱبْتَدَأَ الوَقْتُ
حِينَ ٱلْتَقَيْنا،
وهاجَرَنا اليَأْسُ بَعْدَ عِنادٍ...
وَأَخْرَجَكِ العِشْقُ نَحْوي،
فَعَمَّدَكِ الضَّوْءُ،
وَٱنْدَلَعَ الفَرَحُ المَتَشَظّي
لِيورِقَ فينا الذُّهولْ،
وَغِبْنا وَعُدْنا...
وَأَشْعَلَنا التَّوْقُ حَتّى ٱنْتَشَيْنا،
وَمَهَّدَ خَطْوَتَنا
في الأماني القَبولْ...

وَطِرْنا عَلى جانِحِ العِشْقِ
نَفْتَحُ آفاقَنا
لِصَباحٍ بَتولْ.
كُلُّ شَيْءٍ سِوانا غِيابٌ،
وَنَحْنُ حُضورٌ
بَقَلْبِ الزَّمانِ الجَديدِ،
وَعَيْناكِ أَنْتِ سَماواتُ نوري،
أَغيبُ بِهِ في بَرارٍ يُحاصِرُها الحُسْنُ،
مِنْ عالَمٍ لَيْسَ فيهِ أُفولْ...
فَماذا أُرَدِّدُ في لَحْنِ أُنْشودَتي
بَيْنَ حَرْفٍ وَحَرْفٍ،
وَماذا تُراني أَقولْ؟

- ٣ -

وَجْهُكِ الآنَ عُمْري الجَديدُ،
أَطيرُ بِهِ
في سَماءِ الفُتونِ الشَّريدْ.
وَجْهُكِ الآنَ
شَمْسٌ تُطِلُّ عَلَيَّ مِنَ القَلْبِ،
تُشْرِقُ فَوْقَ كِياني،
وَتَحْمِلُ وَعْدًا جَديدْ...
وَجْهُكِ الآنَ عُمْري،
وَروحُكِ وَعْدٌ
بِأَنَّ الحَياةَ تَعودُ،

وَجِسْمُكِ خارِطَةٌ لِلذُّهولِ المصَفّى
يُحَلِّقُ بي في فَضاءِ البِداياتِ
حَيْثُ نُصَلّي
وَنَغْرِسُ رايَةَ نَشْوَتِنا
عالِيًا... عالِيًا...
في الذُّهولِ المطِلّ...
عالَمٌ يَبْدَأُ الآنَ مِنّا،
وَحُلْمٌ بَتولٌ يُشَيِّدُ واقِعَنا،
ويَنامُ عَلى قَلْبِكِ البِكْرِ.
كُنْتُ ٱنْتِظارَكِ
حينَ ٱنْسَحَبْتِ إِلى داخِلِ القَلْبِ
وَحْدَكِ،

فَٱنْغَلَقَ العُمْرُ فيكِ،
وَرُحْتِ تُغَنّينَ لِلْعِشْقِ
في مَعْبَدِ الظِّلِّ...
كُنْتُ ٱنْتِظارَكِ
مِنْ داخِلِ الفَرَحِ المسْتَهَلِّ
لِنَخْرُجَ مِنْ رِئَةِ الوَقْتِ
زَفْرَةَ عِشْقٍ طَويلٍ
بِلَوْنِ الفَرَحْ...
وَنِعانِقَ أَيَّامَنا،
نَتَطايَرُ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمِثْلِ الزَّمانِ،
نَذوبُ مَعًا،
ثُمَّ نولَدُ زَهْوًا طَويلًا

عَلى ظَهْرِ قَوْسِ قُزَحْ...
يَبْدَأُ العُمْرُ بِكْرًا،
كَأَنَّ الزَّمانَ الَّذي فاتَ
كَوَّنَنا بَعْدَ نَوْمٍ،
فَصارَ الحُضورُ الجَديدُ
ٱنْخِطافًا لِروحي
إِلى قَلْبِكِ المتَجَلّي
فيَبْدَأُ عالَمُنا مِنْ صَفاءٍ.
أَنا الآنَ هاجَرْتُ ذاتي إِلَيْكِ،
وَشَرَّعْتُ روحي،
لِيَدْخُلَها نورُ قَلْبِكِ،
يَحْمِلُني مِنْ تُرابي إِلَيْهِ

فَيَبْدَأُ عَهْدُ البَهاءْ.
كُلُّ شَيْءٍ تَجَلّى بِنا
خارِجَ الذّاتِ،
وَالشَّمْسُ كَوَّنَها عِشْقُنا...
فَلِمَنْ غَيْرِنا
يَفْتَحُ الوَقْتُ شُبّاكَهُ
في خَفاءْ؟
وَلِمَنْ غَيْرِنا
يَقْرَأُ الفَجْرُ آياتِهِ،
وَبِنا كُلُّ هذا السَّناءْ؟

***

عِنْدَما ٱنْحَسَرَ الحُزْنُ عَنّا
وَشَرَّعْتِ بابَ فُؤادِكِ لي
كُنْتِ خارِجَةً مِنْ سُباتٍ طَويلٍ،
يُحاصِرُكِ القَلَقُ المتَفَتّحُ
حَوْلَ خُطاكِ،
وَيَخْنُقُ فيكِ السَّعادَةَ،
يَخْنُقُنا بِتَناقُضِهِ،
وَيُحَوِّلُ ضَوْءَ الحُبورِ
دُجًى في سَماكِ.
يُقَطِّعُ فيكِ وَفِيَّ القَلَقْ
جِسْرَ إِلْفَتِناَ،

فَيَصيرُ الضِّياءُ الذي كانَ فينا بَرَقْ
عَبَثًا فارِغًا،
وَيَصيرُ الوِصالُ ٱلَّذي مَدَّهُ العِشْقُ
بَيني وبَيْنَكِ
ظِلَّ سَرابْ.
كُلَّما حَضَرَ القَلَقُ المسْتَديمُ بِقَلْبِكِ
خَبَّأْتِهِ،
ثُمَّ عُدْتِ إلى غَلَسِ الوَقْتِ
تَخْتَبِئينَ...
كَأَنَّ أَمانيكِ صارَتْ ضَبابْ،
وَكَأَنَّ المدى
حَوْلَ قَلْبي وَقَلْبِكِ

يَمٌّ يَهيجُ،
وَدَعْسَ الخُطى
بَيْنَ وَرْدِ الحُبورِ
يُغَطّيهِ ثِقْلُ التُّرابْ...
كُلَّما حَضَرَ القَلَقُ
ٱنْفَجَرَ الخَوْفُ فيكِ
لِيَمْسَحَ ما رَسَمَتْهُ الصَّلاةُ
مِنَ الضَّوْءِ
في وَهْجِ عَيْنَيْكِ.
كانَ الصِّراعُ أَمَرَّ عَلى القَلْبِ
مِنْ زَعْزَعاتِ الخَرابْ،
يَفْلُقُ الذّاتَ ذاتَيْنِ:

واحِدَةً مِنْ ضِياءٍ،
وَأُخرى مُجَلَّلَةً بِسَوادِ العَذابْ.
لَمْ يَكُنْ غَيْرُ قَلْبي
يُصارِعُ هَذا العَذابَ الطَّويلَ
لِيَسْكُبَ فيكِ نَبيذَ التَّحَرُّرِ
مِنْ خَوْفِكِ المتَسَلّلِ كَاللِصِّ؛
لَكِنَّني
لَمْ تَصُدَّ انْطِلاقَةَ قَلْبي الجِراحُ،
وَغالَبْتُها،
فَتَحَرَّرَ مِنْها فُؤادُكِ،
وَٱرْتَدَّ عَنْكِ أَساهُ،
وَأَخْرَجَكِ العُمْرُ حُرَّهْ،

وَبِكْرًا تَشَهَّتْ لِأَوَّلِ مَرَّهْ...
وَعُدْتِ كَما كُنْتِ
قَبْلَ ٱنْسِحابِكِ
مِفتاحَ فِرْدَوْسِكِ المسْتَعادِ
يُفَتِّحُ نورَ السَّماءِ،
وَيَنْشُرُ قَلْبَ الإلَهِ
بِهَذي المجَرَّهْ...

- ٤ -

عَرَّشَ الوَعْدُ في فَجْرِنا،
وَتَفَتَّحَ في دَرْبِنا
ياسَمينُ الأَمَلْ.
كانَ قَلْبُكِ يَبْسِمُ لِلضَّوْءِ
وَهْوَ يَهُلُّ عَلَيْكِ،
وَيَرْقُصُ بَيْنَ القُبَلْ.
كُلُّ شَيْءٍ تَجَلّى لَنا
أَبْيَضًا مِثْلَ ثَلْجِ البِدايَةِ،
وَالمسْتَحيلُ تَكَسَّرَ
بَيْنَ خُطانا.

لَمْ يَعُدْ في حُبورِ السَّناءِ سِوانا.
كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ
بَيْنَ دُجى الخَوْفِ
وَالزَّنْبَقِ المتَفَتِّحِ حَوْلَ رُؤانا.
كُلُّ خَوْفٍ تَصَدَّعَ
حينَ رَسَمْتِ القَرارَ...
وَكانَتْ بِدايَةُ فِرْدَوْسِنا
مِنْ ذُهولِ الأماني
وَمِنْ أَلَقِ التَّوْقِ
يَخْرُجُ بَيْنَ شُقوقِ الزَّمانِ.
لَمْ يَعُدْ فيكِ
غَيْرُ شُروقٍ

يُكاشِفُهُ أَمَلٌ
تَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ مُنانا.
كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ...
بَيْني وَبَيْنَكِ
هذا القَبولُ العَميقُ
ٱلَّذي يَجْعَلُ الذّاتَ شَفّافَةً
كَالضِّياءِ الرَّقيقِ...
وَأَنْتِ ٱنْخِطافي
إِلى أَلَقٍ خارِجٍ مِنْ سَنانا...
وَأَنْتِ ٱبْتِسامَةُ وَعْدٍ جَديدٍ
يَخُطُّ بِروحي قَصيدَتَهُ،
وَيُوَزِّعُ بَيْنَ ثَنايا كِياني

حياةً أَرَقَّ وَأَجْمَلَ
في كُلِّ عُمْري...
وَيَفْتَحُ لِلضَّوْءِ
قَلْبي وَصَدْري،
وَيَرْسُمُ في عَيْنِيَ الذَّاهِلَهْ
عالَمًا مِنْ ذُهولٍ،
وسَيْلَ نُجومٍ
تَتَابَعُ كَالقافِلَهْ...
أَنْتِ هذا الذُّهولُ الجَميلُ
ٱلَّذي يُخْرِجُ الشِّعْرَ
مِنْ قَلْبِ حِبْري
وَيَأْخُذُني في ٱنْخِطافاتِهِ،

فَأَراني شَريدًا
عَلى هَمَساتِ الحُبورْ،
وَيَحْمِلُني الوَقْتُ
خارِجَ بَحْرِ الثَّواني،
وَيَزْرَعُني الشِّعْرُ بَيْنَ السُّطورْ...
فَكَيْفَ أَعودُ
إِلى الأَرْض، بَعْدُ،
وَقَدْ طَهَّرَ الذّاتَ هذا العُبورْ؟

***

تَمُرُّ النُّجومُ
لِتَنْهَلَ مِنْ نورِ عَيْنَيْكِ أَنْوارَها،
وَهْيَ تَتْرُكُ خَلْفَ خُطاها
بَريقَكِ
يَغْرَقُ في غَمْغَماتِ الأَريجْ...
لِبَنَفْسَجَةِ القَلْبِ
أَنْ تَقْرَأَ القَلْبَ
سَطْرًا فَسَطْرًا...
وَتَحْلُمَ بي...
لِبَنَفْسَجَةِ القَلْبِ
أَنْ تَتَفَتَّحَ

مِلْءَ كِياني،
وَتَنْسُجَ أَحْلامَها في فُؤادي،
ولي
أَنْ أَذوبَ بِهذا النَّسيجْ.
وَتَشْهَقُ حِينَ تُلامِسُها
نَشْوَةُ الرّوحِ...
تَشْهَقُ حَتّى تَذوبَ
عَلى قِمَّةِ الحُلْمِ،
تُرْخي علَيَّ سِتارَ ٱنْخِطافَتِها
لِأُوَسِّدَها كُلَّ عُمْري،
وَأَرْجِعَ في مُقْلَتَيْها
صَبِيًّا صَغيرًا

يَطيرُ إِلَيْها،
وَيَتْرُكُ بَيْنَ يَدَيْها
زُهورَ التَّمَنّي
تَجَمَّعْنَ حَوْلَ بَنَفْسَجَةٍ
لَخَّصَتْ كُلَّ عِطْرِ الزُّهورْ...
وَما كَدَّسَتْهُ السَّماءُ عَلَيْها
مِنْ صَفاءِ الأَعالي،
وَكُلَّ جَمالِ العُصورْ...

***

يَكْتُبُ الفَجْرُ فيكِ قَصائِدَهُ،
وَيُطِلُّ عَلى عُمْرِنا الشِّعْرُ – يُلْهِمُهُ عُمْرُنا،
وَتَسيلُ القَصيدَةُ مِنْهُ
حُروفًا أَرَقَّ مِنَ النّورِ.
أَنْتِ القَصيدَةُ
حينَ خَرَجْتِ مِنَ القَلَقِ المسْتَمِرِّ
إِلى شَمْسِ قَلْبي،
فَأَخْرَجْتِ مِنّي الأَسى،
وَتَوَسَّدْتِني حينَ نُمْتِ،
وَأَنْتِ
تَقَطَّرْتِ في كوبِ روحي،

وَذُبْتِ
وَصِرْتِ رَحيقَ السَّماءِ
وَخَمْرَ الصَّلاةِ...
وَصِرْتِ
جُموحَ الملاكِ الَّذي أَخْرَجَ الكَوْنَ
مِنْ عُزْلَةٍ.
لَيْسَ فيكِ سِوايَ،
وَبَيْني وَبَيْنَكِ
عُرْسٌ مِنَ النّورِ.
لا شَيْءَ يَفْصِلُنا، بَعْدُ،
كُلُّ الأَماني
حُقولٌ مِنَ الأُغْنِياتْ،

وَأَنْتِ خَرَجْتِ مِنَ الحُلْمِ نَحْوي
وَأَخْرَجْتِني مِنْ ضَياعِ الأَسى
لِأَكونَ عَريسًا،
وَزَهْوًا يُغَنّي
جُموحَ الحَياةْ...

– ٥ –

يَنْزِلُ الوَقْتُ مِنْ بَيْتِهِ،
وَيُجالِسُني،
مُنْذُ أَدْرَكَ أَنَّكِ شَرَّعْتِ بابَكِ لي،
وَسَكَنْتِ كِياني.
يَنْزِلُ الوَقْتُ
مِثْلَ أَخٍ وَصَديقٍ
يُكَلِّلُ قَلْبي
بِما يَجْعَلُ العُمْرَ مُنْتَشِيًا
في الأَماني.
وَأَنْتِ على بَسْمَةِ الرّوحِ

تَأْوي إِلَيْكِ أَمانِيَّ
مِثْلَ العَصافيرِ،
يَحْمِلُها الأَلَقُ المتَفَتِّحُ
فَوْقَ الزَّمانِ وفوقَ المكانِ...
كُلُّ شَيْءٍ تَراءى لِعَيْنَيَّ فيكِ:
ٱنْكَبَبْتُ عَلى الرّوحِ أَصْقُلُها،
وَأُرَصِّعُ عُمْري بِعَيْنَيْكِ،
أَزْرَعُ فيهِ ٱبْتِسامَكِ
كَيْ يُثْمِرَ العِشْقُ حُلْمًا
يَصيرُ ٱنْبِثاقَ حَياةٍ،
وَأَسْكُنَ روحَكِ حَتّى ٱنْتِهاءِ الزَّمانِ...
كُلُّ شَيْءٍ تَراءى لِعَيْنَيَّ فيكِ:

رَأَيْتُ المدى خارِجًا مِنْ ذُهولٍ طَويلٍ،
وَخَطْواتِنا سَفَرًا في مَقاطِعِ أُغْرودَةِ العِشْقِ...
وَالأَرْضَ مِنْ حَوْلِنا
مَدَّها الفَرَحُ المتَكَوِّمُ
سَجّادَةً مِنْ بَهاءْ.
كُلُّ شَيْءٍ تَراءى لِعَيْنَيَّ:
كانَتْ حُدودُ الصَّفاءْ
قَلْبَكِ المتَفَتِّحَ في قُدْسِ روحي،
وَعيناكِ أَنْتِ حُضوري
يُزَيِّنُ لي وِجْهَةَ المنْتَهى
وَزَوايا السَّماءْ...

***

صارَ بَيْني وبَيْنَكِ
سِرٌّ صَفاءٍ غَريبٍ
يُحوِّلُنا واحِدًا أَحَدًا.
صِرْتِ أَنْتِ ٱنْفِتاحَ الحَياةِ
عَلى قَلْبِيَ البِكْرِ
بَعْدَ ٱنْغِلاقٍ طَويلٍ...
وَلا شَيْءَ في روحِكِ الوارِفَهْ
غَيْرُ نورٍ رَقيقٍ
تُحيطُ بِهِ نَشْوَةٌ جارِفَهْ؛
وَعَيْناكِ سِرّي
أَرى فيهِما كُلَّ تاريخِنا المتَلَوِّنِ بِالشَّوْقِ،

أَتْرُكُ كُلَّ جُموحي
وَأَرْحَلُ...
يَحْمِلُني فيهِما أَرَجٌ مِنْ ضِياءٍ
إلى فَوْقُ،
أَلْوانُهُ مِنْ بَريقِ طُموحي؛
وَأَقْرَأُ ذاتي بِعَيْنَيْكِ،
أَكْتُبُها كَقَصيدَةِ شِعْرٍ...
وَأَسْكُنُ فيكِ
لِآكُلَ تُفّاحَ فِرْدَوْسِكِ المسْتَعادْ...
وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ
ٱنْخِطافًا يَطيرُ بِروحي
إلى قِمَّةِ الخَلْقِ،

يَفْتَحُ بابَ الأَماني
عَلى أُفُقٍ خارِجٍ
مِنْ أَماني المِدادْ...
وَتَبْقَيْنَ صَحْوَةَ فَجْرٍ
يُعيدُ إِلَيَّ صَباحَ الحَياةِ
وَدِفْقَ الرَّبيعْ
يُكَلِّلُني بِالذُّهولِ
وَأَحْمِلُ مِنْهُ
رَنينَ الحُبورِ البَديعْ.

- ٦ -

زَيَّنَتْكِ الصلاةُ
بِما يَجْعَلُ القَلْبَ أَكْثَرَ نورًا،
فَأَوْغَلَ في العِشْقِ...
كُنْتِ ٱهْتِداءَ الخُطى
في طَريقِ ٱنْخِطافي،
وَكُنْتِ عُبوري
إِلى سِدْرَةِ المَلَكوتِ،
وكُنْتِ اعْتِرافي
بِأَنَّكِ أُرْجوحَةَ الفَرَحِ المتَهَدِّلِ فَوْقي،
تَشُدُّ فُؤادي

إِلى حَيْثُ يَنْبَثِقُ الكَوْنُ
مِنْ لَمْسَةٍ وَانْكِشافِ...
وَحينَ ٱنْحَدَرْتِ إِلى خافِقي
كَشَفَ النّورُ
عَنْ وَجْهِهِ فِيَّ،
وَٱنْفَتَحَتْ
عَيْنُ هذا الفَضاءْ
عَلى تَرَفٍ طافَ في العَيْنِ:
لا شَيْءَ يُشْرِقُ مِنّي،
وَبَيْني وَبَيْنَ السَّماءْ
هالَةٌ مِنْ صَفاءْ،
وَغُبارٌ مِنَ الضَّوْءِ

يَلْتَفُّ حَوْلي،
وَيَرْفَعُ قَلْبي إلَيْكِ
فَيَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْكِ،
وَيَرْكَعُ وَهُوَ يُصَلّي،
وَيَشْهَدُ
كَيْفَ يَهُلُّ الضِّياءُ عَلَيْكِ...
زَيَّنَتْكِ الصَّلاةُ بِقَلْبي
فَأَزْهَرَ فيكِ،
وَعادَتْ إِلَيْهِ الحَياةُ
لِيُشْرِقَ مِنْ فَوْقُ،
مِنْ قِمَّةِ السَّمْتِ،
بَيْنَ مَلائكَةِ اللَوْنِ

وَالأَبْيَضِ المزْدَهي.
زَيَّنَتْكِ الصَّلاةُ
بِرائحَةِ العِشْقِ وَالفرَحِ المتَأَلِّقِ.
صِرْتِ ٱنْعِتاقَ الأَماني
مِنَ القَيْدِ،
صِرْتِ غِناءَ الحُبورْ،
وَرَفْرَفَةَ الفَرَحِ المصْطَفى
يَتَفَتَّحُ في خافِقَيْنا
غُيومَ طُيوبٍ وَنورْ...
وَفيكِ ٱنْتَهَتْ رِحْلَتي،
وَاجْتَمَعْتُ بِذاتي،
فَأَيْقَظْتُ أَحْلامَكِ النّائماتِ

لِتَغْدُوَ مَحْضَ حُضورْ...
أَراكِ
وَقَدْ فَتَحَتْ لي يَداكِ
بَابَ نورٍ
يُشَرِّعُ لي
ثَمَرَ الوَجْدِ
أَقْطِفُهُ في سَماكِ...
وَلا شَيْءَ، بَعْدُ، سِوانا:
نَجْمَتَيْنِ تَأَلَّقَ نورُهُما
حينَما ٱشْتَبَكَتْ في ذُهولٍ يَدانا.
لَيْسَ في الحُلْمِ شَيْءٌ سِوانا
يَنْثُرُ الوَعْدَ مِنّا أَريجُ الرَّجاءْ،

يَفْتَحُ المنْتَهى

فِي خُطانا،

وَيَزْرَعُ فِي الأَرْضِ

نورَ السَّماءْ...

١٠ – ١٧/ ٧/ ٢٠١٧



كُلُّ شَيْءٍ سِوانا غِيابٌ،

وَنَحْنُ حُضورٌ

بَقَلْبِ الزَّمانِ الجَديدِ،

وَعَيْناكِ أَنْتِ سَماواتُ نوري،

أَغيبُ بِهِ في بَرارٍ يُحاصِرُها الحُسْنُ،

مِنْ عالَمٍ لَيْسَ فيهِ أُفولْ...

فَماذا أُرَدِّدُ في لَحْنِ أُنْشودَتي

بَيْنَ حَرْفٍ وَحَرْفٍ،

وَماذا تُراني أَقولْ؟